وينوبا لهم والخوف انما يكون من حدوث شيء من المكاره في المستقبل والحزن انما يكون من تحقق شيء مما يكره في الحال
او من فوات شيء احبه فيه قوله والاية مجملة لان قوله اولياء الله عنوان مجمل لم يبين فيه قربهم من الله تعالى فحظ المراد
منه وقوله الذين امنوا وكانوا يتقون سواء كان منصوبا على انه صفة للاولياء او منصوبا على المدح او مرفوعا
يفسره ويبين جهة قربهم منه تعالى وهو ايمانهم وخوفهم من المعاصي بين يدي الله كما روي عن ابن عباس يريد بهم الذين
صدقوا النبي صلعم وخافوا مقامهم بين يدي الله تعالى فكانا تفصيلا ثانيا لما اجمل اولا والفرق بين كونه تفسيرا للمراد
من اولياء وبين كونه بيانا لقولهم لربهم ظاهر لان الاول لا يستلزم الثاني والثاني يستلزم الاول قوله وما يرونهم في الرؤيا الصالحة
روي ان عبادة بن الصامت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذه البشرى التي ذكرها الله تعالى لهم البشرى في الحيوة الدنيا فقال
هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح او ترى له قال الامام اذا احلنا قوله لهم البشرى على الرؤيا الصالحة فظاهر حالة
الاولياء والعلماء اسد والعقل ايضا يدل عليه لان ولي الله الذي يكون مستغرق القلب والروح بذكر الله ومن كان كذلك فانه عند النوم
لا يبقى في روحه الا معرفة الله ومن المعلوم ان معرفة الله ونور جلاله تعالى لا يفيد الا الحق والصدق واما من يكون متوزع
الخاطر على احوال هذا العالم المظلم الكدر فانه اذا نام يبقى كذلك فلا جرم لا اعتماد على رؤياه وعنه عليه السلام ذهبت النبوة وبقيت
المبشرات وعنه عليه السلام الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فاذا حلم احدكم حلما يخافه فليتعوذ وليبصق عن شماله ثلاث مرات
فانه لا تضره قيل اذا رأى احدكم ما يحزنه فليقل اعوذ بما عاذت به الملائكة من شر رؤياي التي رأيتها ان تضرني
في دنياي او في اخرتي وعنه عليه السلام الرؤيا الصالحة الحقة التي يبشرها المؤمن جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة
فمن رأى ذلك فليخبر بها ومن رأى سوى ذلك فانما هي من الشيطان ليحزنه فلينفث عن يساره ثلاثا وليسكت
ولا يخبرها احدا وبيانه ان مدة الوحي كانت ثلث وعشرين سنة منها ستة اشهر كان النبي عليه السلام يرى الرؤيا ويوحى اليه
ثم جاءه جبرئيل عليه السلام بعد ذلك ولا شك ان ستة اشهر من ثلث وعشرين سنة جزء من ستة واربعين جزءا
قوله وتبشرهم الملائكة عند النزع قال تعالى تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون
قوله وليس من شرطه ان يقع بعده كلام ليتصل بما قبله جواب عما يقال كل واحدة من الجملتين كيف يكون اعتراضا
والاعتراض انما يكون في اثناء الكلام وبين كلامين متصلين معنى لا في اخره وقد انقطع الكلام عندهما وتقرير الجواب
ان ما ذكره كلام اكثري لا كلي فانه لا يجب ان يقع بعد الاعتراض كلام فلا ينطق الحق والحق ابلج وتسكت وحدث الحروف
حادث والحوادث جمة وتسكت ومن رد لا يسمى تذييلا لا اعتراضا قوله وتهديدا فانه تعالى لما ابطل جميع شبهاتهم المتعلقة
بالطعن في النبوة عدلوا الى طريق اخر في القدح بامره عليه السلام وهو انهم هددوه بانهم اصحاب اموال واتباع فنسعى في قهرك وابطال امرك
فاجاب تعالى عن طريقهم هذا بقوله ولا يحزنك قولهم قوله من الملائكة والثقلين تبينه لان كلمة من في السموات والارض مختصة بالعقلاء
كانه قيل فمن يتعزز عليك بكثرة اتباعه والله عز وجل متعزز عليهم لان الموجودات كلها له تعالى ومن استعبدها عليك كان الى الذل والهوان
لانه تعالى قادر على ان يسلب منهم ذلك او ينصرك عليهم وينقل اموالهم وديارهم اليك قوله اي شركاء على الحقيقة اشارة الى ان ما
نافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف لا نهاية بمعرفة المعنى والتقدير واتبع الذين يدعون من دون

دون الله شركاء لان شركة الله تعالى في الربوبية محال فانها مفعول يدعون وشركاء مفعول يتبع قوله ويجوز ان يكون
ما استفهامية بمعنى الانكار والتوبيخ فيكون شركاء منصوب بيدعون والمعنى اي شيء يتبع المشركون اي يتبعونه من شيء
قوله وقرئ تدعون بتاء الخطاب للمشركين على ان يحمل ما يتبع على الاستفهام كما صورة من المعنى
قوله او يحزرون عطف على ان يكذبون قوله ويقدرون انهم يحزرون فان الحزر التقدير
يعني ان الخرص مشترك بين معنيين الحزر والكذب قال خرص يخرص اذا كذب قوله وانما قال مبصرا اي يبصر فيه لان المبصر
هو الذي يبصر والنهار لا يبصر فيه فكان الظاهر ان يقال لتبصروا فيه كما قال في الليل لتسكنوا فيه لكنه عدل
عن الظاهر واسند الابصار الى الظرف مجازا على طريق نهاره صائم وليله قائم ونكتة العدول الى الاسناد المجازي لما ذكره
من المفرد فنص على ظرفية ما هو ظرف مجرد حيث قال لتسكنوا فيه واسند الابصار الى ما ليس ظرفا
مجردا ولم يصرح بظرفيته تنبيها على انه ليس بظرف محض بل هو لكونه داخلا في تسبب الابصار سبب قيل هذه الاية
في غاية الفصاحة حيث حذف من كل جملة ما اثبت في الاخرى فانه تعالى ذكر علة جعل الليل مظلما وهي قوله لتسكنوا
فيه وحذفها من جعل النهار مبصرا وذكر صفة النهار وهي قوله مبصرا وحذفها من الليل لدلالة المقابل
عليه والمعنى هو الذي جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتحركوا فيه لتحصيل اسباب
معاشكم فحذف مظلما لدلالة مبصرا عليه وحذف لتتحركوا لدلالة لتسكنوا عليه ويقال اظلم الليل اي صار
ذا ظلمة واضاء النهار اي صار ذا ضياء فيكون هذا من باب النسب كقولهم لابن وتامر وقوله تعالى عيشة راضية
ثم انه تعالى لما بالغ في تقرير الدلائل الدالة على تحقق الحق وابطال الباطل شرع في بيان قصص الانبياء تسلية للرسول
صلعم وللاصحابه فان المصيبة اذا عمت خفت ويكون ذلك سببا لانكسار قلوب الكفار ووقوع الخوف في صدورهم
وتقليل ايذائهم وسفاهتهم فانهم اذا سمعوا ان الامم السالفة وان بالغوا في ايذاء الانبياء الا انه تعالى قد اعانهم
بالاخرة ونصرهم وقهر اعداءهم كان سماعه سببا لانكسار شوكتهم وتمردهم ويكون ذكر هذه القصص من غير زيادة
ولا نقصان مع انه عليه السلام لم يتعلم علما ولم يطالع كتابا معجزة له عليه السلام دالة على انه انما عرفها بالوحي والتنزيل فابتدأ
بقصة نوح عليه السلام واذ في قوله اذ قال معمول لنبا لا لقوله اتل لانه مستقبل واذ ماض والمقام اما اسم لمكان القيام
او مصدر فعلى الاول يكون كناية عن النفس لان المكان يعبر به عما يحل فيه كما يقال فعلت كذا لمكان فلان اي لاجله وعلى كونه مصدرا
اما ان يراد طول قيامه بينهم او قيامه على الدعوة والتذكير فانه عليه السلام مكث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فجعل
ان استثقلوا ذلك وايضا ان هؤلاء الكفار قد الفوا تلك المذاهب الفاسدة ومن الف طريقة في الدين فانه
يثقل عليه ان يدعى الى خلافها فان اقترن بذلك طول مدة الدعاء كان اثقل واشد وانما قال ان كان كبر عليكم
تذكيري اياكم قياما لانهم كانوا اذا وعظوا قاموا على ارجلهم ليكون ذلك ادخل في الاستماع كما يحكى عن عيسى عليه السلام
قياما وهم قعود وذهب ابو البقاء الى ان قوله فعلى الله جواب الشرط وقوله فاجمعوا عطف على الجزاء ورده بانه عليه السلام
متوكل على الله دائما كبر عليهم مقامه او لم يكبر فالجواب محذوف اي فافعلوا ما شئتم والمذكور تعليل الجزاء
لا اظهار بعادم

Copyright © King Saud University